قناة العربية أم علي بن الجهم؟

معن البياري

تشتهر في بطون كتب الأقدمين العرب، في سير الشعراء وتراجمهم، قصة علي بن الجهم، الشاعر الذي كان يقيم في البادية، ولمّا جاء بغداد أول مرة، أنشد الخليفة العباسي، المتوكل، قصيدة مديح، وفيها:

أنت كالكلبِ في حفاظك للودّ/ وكالتيْس في قراع الخطوب...

ولمّا عرف الخليفة حُسن مقصده، وخشونة لفظه، وأنه ما رأى سوى ما شبّهه به، لعدم المخالطة وملازمته البادية، فأمر له بدار حسنةٍ على شاطئ نهر دجلة، فيها بستانٌ حسن، والجسرُ قريب منه، وأمر بالغذاء اللطيف أن يتعاهد به، فكان الشاعر يرى حركة الناس ولطافة الحضر، فأقام ستة أشهر على ذلك، والأدباء يتعاهدون مجالسته، ثم استدعاه الخليفة المتوكّل، لينشده، فأنشد:

عيون المها بين الرصافة والجسر/ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري ... أعدن لي الشوق القديم ولم أكن/ سلوتُ ولكن زدنَ جمرا على جمر .. فقال الخليفة: لقد خشيتُ عليه أن يذوب رقةً ولطافة.

أما الإتيانِ بتلك القصة إلى هنا، فهو انعدام اللطافة في تشاطر محرّر في قناة العربية، طيّر قصةً إخبارية، في موقعها الإخباري، من دبي، ساعاتٍ بعد حسم جو بايدن نيله رئاسة الولايات المتحدة، أرادت ما هو أكثر من الغمز واللمز، وفضحت ما في حشايا القائمين على القناة، ومن خلفهم ومن وراءهم، من شديد الامتعاض من رئاسة بايدن هذه، لمّا اختارت للقصة العنوان الذي بقي ساعات قبل إزاحته، ربما بعد تنبيه من مراجع عليا غير معلومة، «الكلاب تعود إلى البيت الأبيض»، مع صورة بايدن واقفا وإلى جانبه كلب (هل هو الكلب ميجر الذي تبناه قبل عامين أم كلب العائلة تشامب؟ .. لا أعرف). والراجح أن الزميل الذي استطاب هذا العنوان، ثم استحسنه المسؤولون عنه، قبل أن يرعووا، أغواهم عدم تفضيل دونالد ترامب الكلاب، وربما بغضُه لها، على غير كثيرين من أسلافه (مشهورةٌ لقطات جورج بوش الابن، يداعب كلبه، وهو يتكلم عن عالمٍ أفضل من دون صدام حسين)، وقد «غرّد» ترامب في هذا الخصوص، فعقّب عليه بايدن: دعونا نعيد الكلاب إلى البيت الأبيض.

إنما أراد علي بن الجهم مديحا للخليفة، الحافظ للود كالكلب، فيما ناس «العربية» أرادوا تحقيرا في رئيس أميركا المرتقب، فالصورة العامة للكلاب ليست حسنة في الثقافة العربية الشعبية، وإلا ما سارع القائمون على التحرير في القناة التلفزيونية إلى شطب العنوان، تداركا منهم الأثر الشديد السلبية الذي يتركه أمرٌ كهذا، سيما أن هذه القناة، كما نظيرات لها وصحافاتٌ ومنصّاتٌ غير قليلة في الإمارات ومصر، لم تكترث أبدا بالمزاج الشعبي العربي العريض الذي تابع الانتخابات الرئاسية الأميركية وتفاصيلها، اشتياقا لخروج دونالد ترامب من البيت الأبيض، وليس حبّا ببايدن الذي يمكن إدراج التشنيعات عليه في تلك القنوات والصحف والمنصّات في باب العجائب والطرائف والغرائب. ومن مضحكاتٍ غزيرة هنا أن يتجنّد كتاب ومعلقون ورؤساء تحرير في صحف مصرية لتقريع «انحرافات» تلفزاتٍ وصحف أميركية كبرى (سي إن إن وواشنطن بوست مثلا) في انحيازها ضد ترامب.

على الغرار نفسه، أو ما يُشبهه على الأصح، فعلت صحيفة الشرق الأوسط (السعودية)، في نشرها القصة الإخبارية الموجزة (بثتها في الأصل وكالة الأنباء الفرنسية)، لمّا عنونتها «الكلاب تعود إلى البيت الأبيض بعد أربع سنوات»، وهو أخفّ وقعا من حرفنة «العربية»، سيما وقد نشر في باب المنوّعات (وهو كذلك بداهة)، غير أنها، احتراسا وتحسّبا واحترازا، بادرت إلى تعديل العنوان، في موقعها الإلكتروني، ليكون مباشرا وتقليديا، من دون أي ظلال محتملة له.

إنه، على الأرجح، سوء الطوية الذي لا صلة له بالفطنة الحسنة. كان ثقيلا، زاوله إعلام عربي عريض، في ثلاثة بلدان على الأقل، ضد جو بايدن، ويعود إلى خياراتٍ سياسيةٍ تصطفّ مع ترامب وشروره. وكان في الوسع أن يعمد القائمون على هذا الإعلام إلى بعض الحياد وشيء من المهنية في الأخبار والتقارير والقصص الصحافية، ويتركوا للمعلقين والكتّاب أن يفضّلوا ترامب أو بايدن. لكنهم لم يقدروا، افتقدوا الكياسة أو مقادير منها، على ما شوهد على شاشات مصريةٍ، بدا ناسها كأنهم موظفون في حملة ترامب، وهم يتحدّثون عن تزوير حدث في الاقتراع بالبريد (!). .. ولأن الملافظ سعد، كما يُخبرنا قول سائر، فإن السعد خانهم، وهم يلعبون في قصة كلاب بايدن، فدوّت فضيحة «العربية» تلك، وذكّرتنا بعلي بن الجهم شاعرا مكينا، يعرف مواطن كل قول ومقامه ومقاصده، فرأى في الكلب وفاءه، ولا شيء آخر.

«الترامبية وما بعدها» ومقاربات هنتنغتون

محمد أبو رمان

على الرغم من انتصار المرشّح الديمقراطي جو بايدن في الانتخابات الرئاسية الأميركية، فمن الصعوبة بمكان القول إنّ إرث الرئيس دونالد ترامب انتهى، أو إنّ التأثير العميق الذي أحدثه في أوساط المجتمع الأميركي سيتراجع بالضرورة، بخاصة حالة الاستقطاب والانقسام الداخلي الذي شهدته الولايات المتحدة خلال فترته. وقد أكدت صحيفة واشنطن بوست على هذه الفكرة بالقول إنّ الترامبية فكرة لا تموت، ولو فاز بايدن. وأشار المحلل السياسي الأميركي، إيشان ثارو، إلى أنّ الأصوات التي حصل عليها ترامب أكثر من التي حصل عليها في الانتخابات السابقة، ما يعني أنّ قاعدة اجتماعية عريضة تؤيد، غالباً، طروحاته التي، وفقاً لبايدن، وتشاركه في ذلك نسبة كبيرة من الأميركيين والآخرين، تهدّد السلام الاجتماعي الأميركي الداخلي وقيم التعدّدية والديمقراطية، الأمر الذي لا يقتصر على الولايات المتحدة، بل تمتد آثاره إلى السياسات العالمية.

لم ينته التحدّي، إذاً، مع خروج ترامب من البيت الأبيض، فهنالك تحدٍّ كبير أمام الرئيس القادم (بعد الانتهاء من إصرار ترامب على عدم الاعتراف بالهزيمة) في استعادة الروح الأميركية الجماعية، وإعادة أميركا إلى الحالة السابقة. لكنّها مهمة ليست سهلة، لأنّ ترامب لم يأت من فراغ، ولم ينجح إلا لأنّه يعكس توجهات قاعدة اجتماعية عريضة، أصبحت مؤيدةً لخطابه الذي يحاكي هواجس هذه الشريحة في موضوع الهوية الأميركية من الثقافات والمجتمعات الأخرى، بخاصة اللاتينية والمكسيكية على وجه التحديد، والإسلامية بدرجة ثانية.

يقودنا ذلك بوضوح إلى كتاب صموئيل هنتنغتون الذي كتبه في العام 2004 «من نحن: المناظرة الكبرى حول أميركا» (Who Are We)، وهو آخر كتبه (توفي في 2008)، ويناقش فيه المخاطر على الهوية الأميركية، التي يرى أنّها أخذت طابعاً معيناً منذ ثلاثة قرون ذات أبعاد عقائدية ودينية وعرقية وثقافية، وهو هوية أنكلو ساكسونية - بروتستانتية، وكان الإنكليز القادمون من الخارج يعرّفون أنفسهم مستوطنين، لا مهاجرين.

وفقاً لهنتنغتون، تشكلت الهوية الأميركية من عناصر رئيسية، وقامت على قدرة الولايات المتحدة على إدماج الجميع ضمن إطارها، ولكنها مع ارتفاع معدلات الهجرة الكبيرة لدى اللاتينيين، بخاصة المكسيكيين، منذ فترة الستينيات، بدأت تواجه خطراً حقيقياً، وكأنّ أميركا تتحول إلى بلد ثنائي الثقافة واللغة والهوية، مع صعوبة اندماج المكسيكيين في المجتمعات الأميركية. وبدلاً من ذلك، بدأت تهيمن الثقافة المكسيكية على بعض المناطق بصورة واضحة، كمدينة ميامي، على سبيل المثال.

المهم في الموضوع أنّ المؤلف توقّع أنّ مثل هذه التحولات والأخطار التي يشعر بها الأميركيون على هويتهم وثقافتهم ستحرّك، بالضرورة، التيارات اليمينية الأميركية، بذريعة الدفاع عن الثقافة في مواجهة المهاجرين والثقافات الجديدة.

بيت القصيد أنّ الترامبية التي استدعت خطابات الاحتراب الهوياتي، وانتعشت معها السلطويات في العالم العربي (بعد تعزيز التشكيك بالديمقراطية وقيمها وجدواها)، وتزامنت مع صعود اليمينيات الغربية والأوروبية، لا تزال تمثّل خطراً، ليس فقط على صعيد الداخل الأميركي، بل على الصعيد العالمي أيضاً. وهنالك اليوم خطابات متناسقة معها في أوروبا والغرب، وامتحانات عسيرة لا تزال تواجه قيم التعايش والديمقراطية والتنوع التي تأسست عليها الديمقراطيات الغربية، وساعدت في إيجاد حلم للشعوب والمجتمعات الأخرى باللحاق بالمجتمعات الديمقراطية، وبتأسيس أنظمة ديمقراطية تؤمن بالمواطنة والتعدّدية الثقافية والدينية والسياسية.

(كاتب ووزير أردني سابق)

دو توكفيل يقرأ مصالح المغرب الكبير مع بايدن

عبد الحميد اجماهيري

كان أليكسيس دو توكفيل، في معرض حديثه عما سمّاه «عن الديموقراطية الأميركية» قد رأى في الولايات المتحدة الصورة المثالية لهذا الالتزام النبيل للسلم السياسي، والذي نتعارف على تسميته الديمقراطية. وكتب «أعترف بأني، في أميركا، رأيت ما هو أكبر من أميركا، لقد بحثت فيها عن صورة الديمقراطية نفسها». وأمام هذا الاعتراف الذي يعود إلى قرابة قرنين، يبدو من المتابعة الكبيرة لكل البشرية مجريات الانتخابات الرئاسية الأميركية، وكأن آخر الأخبار كتبت بالفعل في سنة 1853، تاريخ صدور المجلد الأول من كتابه، مع تعديل بسيط، ربما يقتضيه الفارق الزمني، وهذا الفارق أن الأميركيين عادوا إلى البحث عن تلك الصورة المثلى في انتخابات رئيسهم، فقد سمعنا عقب الإعلان عن نتيجة الاقتراع الرئاسي، وقبله بقليل، عن الفرح بعودة المؤسسات والديمقراطية.

أشادت كامالا هاريس، أول امرأة تتبوأ منصب نائب الرئيس الأميركي، بـ«يوم جديد لأميركا»، وصارت إلى القول إن «هذه الانتخابات هي حول ما هو أكثر بكثير من جو بايدن أو مني»، مضيفة أنها «تتعلق بروح أميركا واستعدادنا للمحاربة من أجلها». نحن أمام تصريح يتجاوز التعبئة الانتخابية إلى شعور عام، كما لو أن أميركا تكتشف نفسها من جديد، بعد العبور القرف للرئيس ترامب الذي بعثر المؤسسات لفائدة فردانية، كان توكفيل نفسه قد اعتبرها أحد الانزلاقات التي تهدد الديمقراطية الأميركية. ويمكن للخيال الأدبي أن يزور الكاتب الفرنسي بكتابه عن الولايات المتحدة، ويراه وقد شدّ رأسه، وهو يتقلب في قبره، فصاحب «الديمقراطية في أميركا»، أهم كتاب ربما عن الحكم، في القرنين الأخيرين، كان يعتبر أن أهم ميزة للديمقراطية الأميركية أنها تنبني وتشيد على إطلاقية السيادة الشعبية، فهو لم يضرب حساب ترامب، بعد عقود، وهو «يربي» الديمقراطية على الطريقة العربية، أي التي تقف عند مزاج الحاكم.

قام توكفيل بتحليل الديمقراطية كبنية سياسية، وهذا ما تحتاجه اليوم. وهو ما يفسّر، عطفا على ذلك، الحديث عن الزخم الذي تعطيه الحركة الديمقراطية للحكومة والقوانين والحياة السياسية. وتاليا، انتصار المزاج الشعبوي، التآمري على الديمقراطية، وبانت أعراض تدهورها في «الاستبداد أو الطغيان الرخو» الذي حذر منه توكفيل، والذي أراده ترامب وسيلة للبقاء. وقد توقع دو توكفيل كل انزلاقات الديمقراطية الأميركية، ولخصها في ثلاثية معروفة اليوم في أدبيات السياسة: طغيان الأغلبية، والفردانية، واستبداد الدولة.

الروح العامة للعقل، كما تتجسّد في الممارسة السلمية للتنافس السياسي، لغّمها الفرد المرشّح بإظهار العضلات والشحن الميتا - عرقي، والتشكيك في كل الخصوم والوسائل التي تؤدي إلى.. هزيمته. وهنا لا بد أن نتساءل عن المعنى التاريخي للانتصار الذي حاز عليه جو بايدن، كما عبرت عن ذلك أغلب عواصم العالم الحر، على الرغم من أن التمرين الديموقراطي الذي اعتادته أميركا يجعل التمرين الانتخابي مسألة معتادة؟ الواضح أن الغرب الأطلسي وجد في «تاريخية» النصر عودة إلى ثوابت السياسة الدولية، بمنظماتها الدولية والأساليب المعتادة التي لا تعطي للعجرفة الذاتية معنى في بناء العلاقات الدولية.

من الزاوية المغاربية، كانت التخوفات

> روح العقل، كما تتجسّد في التنافس السياسي، لغّمها ترامب بالشحن الميتا ـ عرقي

تكاد لا تكون معلنة من الدول المعنية بالسياسة الأميركية، فلا شيء كان عند ترامب بدون مقابل، سواء على أساس المصلحة الأميركية المباشرة، أو على أساس المصالح المشتركة مع دول يقتسم معها المصلحة أو التموقعات، كإسرائيل. وإذا كان صحيحا أن المنطقة المغاربية لم تخضع للضغط نفسه الذي خضعت له دول الشرق الأوسط، فقد كان واضحا أن الأخير كان سيفرز نتائج على الاستراتيجية في هذه المنطقة، ليس أقلها استمرار الضغط من أجل التطبيع مع دولة الاحتلال أو التموقع في مواجهة روسيا، بحشرها في خندقه عند التنافس الجيواستراتيجي أو الصين، من زاوية الحرب الاقتصادية التي خاضها ضد التنين الأصفر. وقد لا تتغير ثوابت الاستراتيجية الأميركية رأسا على عقب، وجو بايدن، من زاوية المصالح، سيظل أميركياً، وإن كان ديمقراطيا، وخلافه مع دونالد ترامب أنه سيشرك الأنظمة، والشركاء الأقربين، سيما الأوروبيين في تدبيري الثنائي الآسيوي، الروسي - الصيني، في أفريقيا وتدبير مشكلات الأمن والتهديدات الإرهابية، إضافة إلى محاولة اللعب على قاعدة الديمقراطية في تحديد شروط التعاون.

وسيكون للاكتشاف الديمقراطي لبايدن، بعد التجربة الترامبية، ثمن، وامتداد أيضا. وقد يكون مختبره من خارج أميركا، بعد إعادة توحيدها، هو دعم الدول السائرة في طريق البناء الديمقراطي، وإعادة تنشيط التعاون مع الدول التي تفعل البند الديمقراطي في إدارة شؤونها، أي الدول التي تقتسم معه هذه الروح العامة للعقل الديمقراطي، سواء من خلال دعم منظماتها الديمقراطية والمدنية، أو من خلال تطوير الشراكة مع حلف شمال الأطلسي، أي الشريك الاستراتيجي المفضل، كما هو حال المغرب وتونس. وتنتظر بلاد المغرب بالذات مواصلة الشراكة الاستراتيجية والدعم، من خلال استمرار الشراكات الاستراتيجية، اقتصاديا وتنمويا وأمنيا، والتي تدمج فيها الأقاليم الجنوبية. وسيكون جو بايدن، من زاوية إنعاش الديمقراطية الأميركية، أمام معيار أو سلّم قيم، يأخذ بالاعتبار التقدم على هذه الواجهة، من خلال الأخذ بالاعتبار الديناميات الداخلية للدمقرطة، وهو أمر لا تتساوى فيه دول المغرب الكبير، للأسف.

بالرجوع إلى دو توكفيل، للربح الدائم، لا بد من الاقتناع النهائي والدائم، بإطلاقية السيادة الشعبية، ثم لا بد من تحليل الديمقراطية كبنية سياسية، بما يعني ذلك من حيوية، تنفخها الحركة الديمقراطية في الحكومة والقوانين والحياة السياسية، وهو أمر يحصن أيضا من تقلبات المزاج الانتخابي للقوى الكبرى!

(كاتب مغربي)

العراق وبايدن ونبوءة التقسيم

إياد الدليمي

حسم الناخب الأميركي أمره باتجاه انتخاب ساكن جديد للبيت الأبيض، ديمقراطي هذه المرّة، ليطوي بذلك صفحة أربع سنوات عجاف قضاها الأميركي، ومن خلفه العالم، تحت ظل شجرة ترامب التي ما كانت وارفة، بل كانت نافضة أوراقها واحدة بعد أخرى، فما كادت سنواتها الأربع تنقضي؛ حتى انفض عنها الناخب الأميركي، وقد شعر بأن بلاده تستحق رئيساً أفضل.

الديمقراطي الذي بات يقف على أبواب البيت الأبيض بانتظار الدخول، جو بايدن، سيكون مطالباً بتغييراتٍ عدة، ليس على مستوى السياسة الأميركية العامة، داخلية أم خارجية، فتلك لعمري من ثوابت دولة المؤسسات. ولكن سيقع على عاتقه ترتيب وإعادة تشكيل صورة أميركا التي اهتزت كثيراً بفعل تصرّفات رئيس؛ لو قيض له البقاء أربعة أخرى من السنوات، لكان أدخل أعظم دولة في أتون فوضاه التي لا تنتهي، فترامب أقل بكثير من أن يحكم دولةً بقدرة الولايات المتحدة.

العراق الذي لم يدخل سباق الانتخابات الرئاسية الأميركية هذه المرّة سيكون له ملف دائم على طاولة الرئيس الجديد، الديمقراطي الذي صوّت على حرب العراق إبّان فترة رئاسة الجمهوري، جورج بوش الابن، إلا أنه غيّر رأيه بعد ذلك، ووجد في قرار الرئيس الديمقراطي، باراك أوباما؛ سحب القوات الأميركية من العراق، فرصة للتكفير عما يراه خطأً ارتكبه في ذلك التصويت. غير أن هذا الديمقراطي كان من دعاة تقسيم العراق، فعندما كان عضواً في مجلس الشيوخ عن ولاية ديلاوير عام 2006، يوم كانت القوات الأميركية تحترق بنيران المقاومة العراقية، ووصل عدد الهجمات اليومية على تلك القوات إلى قرابة الألف. يومذاك، اقترح بايدن خطة لتقسيم العراق إلى ثلاث مناطق ذات استقلال شبه ذاتي، شيعية وسنية وكردية. واعتبر أن هذا التقسيم يمكن أن يسمح للقوات الأميركية بمغادرة العراق بحلول عام 2008، وإلا سيدخل العراق دوامة عنف طائفي، يمكن أن تسهم في زعزعة استقرار المنطقة.

تحققت نبوءة بايدن، فبعدها بوقت قصير اندلعت حرب طائفية استمرت أكثر من عامين، يوم أن تم تفجير مرقد الإمام علي الهادي في سامراء، وما تبع ذلك من حربٍ طائفيةٍ أدّت إلى أن يقل تركيز المقاومة العراقية على المحتل الأميركي، ولندخل جميعنا نفقاً طائفياً، يبدو أنه أعدّ بشكل جيد من دهاقنة السياسة الأميركية، وربما من بينهم بايدن.

عموماً، يحمل القادم الجديد إرثاً في التعامل مع العراق ملفاً بقي ضاغطاً سنواتٍ على كل ساكني البيت الأبيض، فقد زار العراق 27 مرة، وهو على علاقة جيدة مع هذا الملف والفاعلين فيه من الساسة العراقيين. وبالتالي، من المتوقع أنه سيتعامل بطريقة ربما مختلفة عن سلفه الجمهوري ترامب، الذي وإن يفضّله عراقيون كثيرون سلاحا لتقليص النفوذ الإيراني في بلادهم، غير أن واقع الحال يفيد بأن حقبة ترامب شهدت أكبر تدخل إيراني في العراق، ووصل إلى حد سيطرة مليشياتها على كل مفاصل البلاد، من دون أن تُقدم إدارة الجمهوري ترامب على فعل أي شيء، ما خلا التهديد بغلق السفارة الأميركية في بغداد، والتي تحوّلت، في عهده، إلى مرمى للتهديف الصاروخي من المليشيات الولائية التابعة لإيران.

> لا يبدو أن بايدن يرغب في السير على منوال سلفه ترامب في التعامل مع العراق أو إيران، بعد أن تحولا إلى ملف واحد

على بايدن أن يعيد ترتيب الصورة، فعراق اليوم ليس العراق الذي دعا إلى تقسيمه إلى ثلاث مناطق شبه مستقلة، وعراق اليوم يعيش واحدة من أسوأ مراحله التاريخية، في ظل سيطرة شبه مطلقة لإيران على أغلب مفاصل البلاد، عبر وكلائها المحليين، سياسيين وعسكريين، أحزاب ومليشيات، فحتى الولايات المتحدة الأميركية التي جاءت بكل هذه الجوقة السياسية الحاكمة في عراق اليوم وجدت نفسها في لحظة فارقة، خارج الحسابات، فلا تملك أرضاً ولا نفوذاً، ولا حتى قدرة على التدخل في أي قرار سياسي.

الضغط الاقتصادي الهائل الذي قام به ترامب على إيران حوّلها إلى خيارات التوسع في نفوذها داخل العراق، فكان أن أفقرت الميزانية العراقية التي أثبتت تقارير دولية أن لإيران أكثر من طريق وطريق مارسته من أجل ديمومة اقتصادها عبر العراق، وعبر منافذ عراقية عدة، وصل بعضها إلى درجة بيع نفط إيراني عبر العراق، ناهيك طبعاً عن عمليات الحصول على العملة الصعبة عبر العراق، وغيرها الكثير الكثير من الأساليب الإيرانية للتحايل على تلك العقوبات عبر حديقتها الخلفية، العراق.

لا يبدو أن بايدن يرغب في السير على منوال سلفه ترامب في التعامل مع العراق أو إيران، بعد أن تحولا إلى ملف واحد، هذا يؤثر على ذاك وبالعكس. سيحاول عقد اتفاق جديد مع إيران، قد يفضي إلى العودة إلى الاتفاق النووي بشروط، قد تكون نفسها التي طالب بها ترامب، غير أن تعنت إيران، وعدم رغبتها في التنازل؛ أخّرا موافقتها إلى حين وصول رئيس جديد. وفي حال تم التوافق الأميركي الإيراني على عودة مشروطة إلى الاتفاق، فسيكون ذلك مقابل استحقاقاتٍ على إيران تسديدها، منها تقليص نفوذها في العراق، خصوصا أن هذا البلد سيكون بانتظار استحقاق انتخابي في يونيو/حزيران المقبل. فأميركا ما بعد ترامب ترغب في إعادة مصالحها في العراق التي تضررت كثيراً بسبب النفوذ الإيراني الذي كان يرفض أي وجود أميركي في العراق، خصوصا بعد مقتل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، الجنرال قاسم سليماني، مطلع العام الجاري (2020) قرب مطار بغداد، وأيضاً بسبب السياسات الأميركية، خصوصا في فترة ترامب الذي كان كثير التهديد قليل الفعل، وكثيراً ما أبدى رغبته في التخلص من العراق ووجعه المزمن.

نعم، بايدن هو صاحب نظرية تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم شبه مستقلة، لكنه قد لا يكون متحمّساً لها هذه المرة، خصوصا وأن مصالح الولايات المتحدة تبدو، حتى اللحظة، مع عراق واحد، ولكن ذلك لا يمنع أن أي اعتراض إيراني على فتح المجال أمام الوجود الأميركي قد يدفع باتجاه تجديد تلك الدعوة البايدنية القديمة، والتي قد تعزّز طموحات بعض الساسة في العراق ممن باتوا يتحدّثون علناً عن ضرورة إقامة الأقاليم الفيدرالية على أسس طائفية وعرقية، فهل يعجّل بايدن برؤية تلك الأقاليم، أم أن لصراع النفوذ الإيراني الأميركي رأيا آخر؟

(كاتب عراقي)

بايدن والرئيس العراقي السابق فؤاد معصوم في نيويورك، 2014 (سبنسر بلات/Getty)

كاريكاتير عماد حجاج

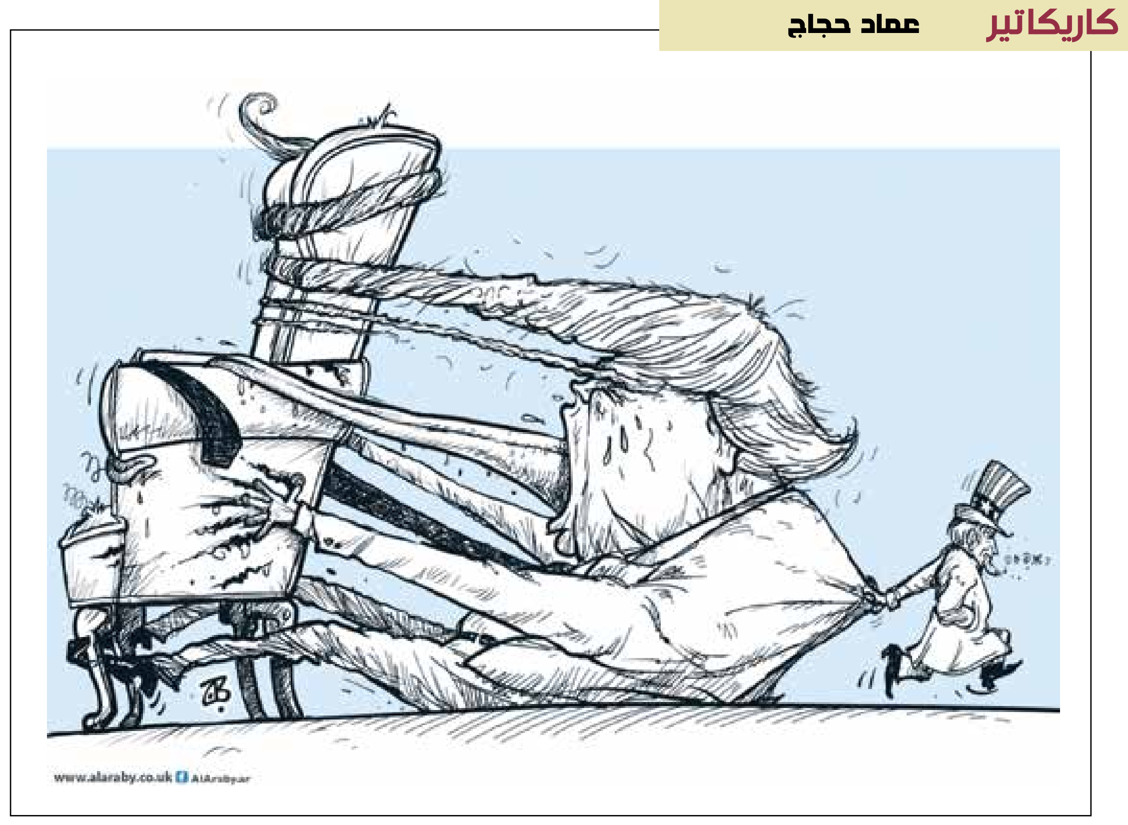

سقوطُ ترامب... توقعاتٌ عربية

مهنا الحبيل

لطالما قفز هذا السؤال الذي تتبين صحته بعد حين: ما الذي يعنيه للعرب تغير مقعد الرئيس في البيت الأبيض؟ في مجمل السياسات ومصالح الولايات المتحدة الأميركية، كان يبدو الجواب سهلاً بعد تجارب عديدة عاشها الوطن العربي. لم يستشعر العرب، ولو مرة واحدة، فارقاً مركزياً في قضاياهم القومية، أو في واقع الحريات والعدالة السياسية المخنوقة، في الأرض العربية، من حلفاء واشنطن وقبائل الاستبداد العربي والعالمي. غير أنه في التفاصيل كانت هناك أمور مهمة، وتغيرات على الأرض في بعض الأقطار، لعب فيها تغير الموقف التقديري لمصالح واشنطن، أو حتّى للمساحة التي تتركها لظروف الأحداث، واقعاً مختلفاً ترتّب عليه صعود أنظمة وسقوطها، أخذاً بالاعتبار حجم البروباغندا التي أحدثها بعض العرب لـ«الإله الأميركي»، وسيّروا منه قدراً لازماً، لشدة الهزيمة النفسية التي يعيشها الوجدان العربي.

وفي فترة صعوده، نفّذ الرئيس الخاسر في الانتخابات تجريفات ممنهجة للحياة السياسية والمدنية في أميركا، صعقت الضمير العالمي، على الرغم من أن جذور العنصرية وهيمنة التوحش الرأسمالي، لم ولن تكون مرتبطة بمرحلة ترامب، وإنما هي عميقة للغاية في كلا الحزبين، اللذين مثّلا نموذج اللعبة الديمقراطية المقننة، تحت سلطة رأس المال والنفوذ الغربي الأبيض. ولم تسمح هذه القوة بتغيير كبيرٍ يُذكر، في تاريخ أميركا السياسي، وإن حقق الكفاح المدني اختراقاً مهماً، لا يُمكن أن تغفل انتفاضة جورج فلويد عن إنجازاته، وربطه من جديد برحلة ضمير العدالة المقاوم في التاريخ الأميركي. وهنا مسألة مهمة، أن سقوط ترامب، شاركت فيه تشكلات جديدة من قوى الكفاح المدني، مثلت خليطاً من الأعراق والقوميات. ومنهم عرب ومسلمون، وكانوا إحدى قواعد التشكل الديمغرافي لشركاء الرئيس المنتخب، جو بايدن، فهل هذا مؤشّر يستحق المراجعة؟ نعم، ولكن الحكم على تأثيره لا يزال مبكراً.

وإذا كانت عودة أوباما، من خلال علاقته الشخصية ببايدن، ونائبة الرئيس المنتخب، كامالا هاريس، وعلاقتهما بهذه القواعد العائدة والجديدة، تضفي على مشهد التغيير الأميركي، واقعاً جديداً، قد يمثل تحدّياً داخلياً وخارجياً، لعهود العسف الأميركي الحليف مع مستبدّي العرب، ومع مدافعة قوى اليمين التي لا تزال تملك قوة فارقة، في الغرب إجمالاً، مع صعود أجواء انقسام اجتماعي في العالم الغربي.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن حالة الاختلاف اليوم، عند سقوط عهدة ترامب، تعني في الموازين النسبية أموراً مهمة في الشرق، كما أن النسبية التي صعدت في تطرّف ترامب لعبت دوراً كبيراً، في خنق بيئة الحريات وتفجير المشروع الصهيوني في قلب الأرض العربية، وامتداداتها، واحتضان المستبدّين العرب، وخصوصا في محور أبوظبي، لمواجهة ضد فلسطين، واستهداف الرسالة الإسلامية، فلم تعد تُفرّق بين خطاب المستبد العربي الموالي لمرحلة ترامب وخطاب الحركة الصهيونية، لكن ذلك لا يعطي تساؤلاً آخر، كأنما جو بايدن في موقفه من القضية الفلسطينية سيختلف، كلا.. ليس الأمر كذلك.

ولكنه في القوى العربية الديمقراطية، وحراكها في أوطانها، وفي الولايات المتحدة، نقطة فارقة مهمة، فالخنق الذي دعمه ترامب يُراهن، ولو بتقدير نسبي، على تغيّر فرص دعمه في البيت الأبيض، ومن خلال نشاط هذه المجموعات التي تحالفت مع بايدن، خصوصا أن حضور تأثيرات الحملات الإعلامية، والخطاب الاجتماعي المدني، للقوى الشعبية العربية والإسلامية في أميركا، والتي تحولت إلى جزء من المجتمع المدني الفاعل، بات أكبر وأكثر تأثيراً، وفي أقل الأحوال، وإن لم تساهم في حملات إفراج لضحايا القتل السياسي في السجون، وكوارث الاعتقال وقمع الضمير، فهي ستنتج بيئة قلق أكبر لأنظمة الاستبداد العربي.

وسيُمثل سقوط ترامب لمعارضات الشرق مساحاتٍ مؤثرة، بما فيها تركيا التي شاركت دولاً خليجية في تمنّي انتصار ترامب، غير أن ذلك لا يعني مواجهة كسر عظم بين إدارة ترامب وتركيا الرئيس أردوغان، بل مرجّح أن يصلا إلى سلة تفاهم إقليمي، ولكن ملف الانتخابات التركي، وتحالف الإسلاميين الديمقراطيين مع المعارضة اليسارية، وخصوم الرئيس أردوغان في القاعدة الكردية واتباع حركة الخدمة (غولن)، قد يحظى بدعم ضمني من إدارة بايدن.

وفي الأزمة الخليجية، فإن سقوط ترامب، حليف الغزو العسكري لقطر، وتولي بايدن الذي فاز حلفاؤه من القوى المدنية، الصديقة للدوحة، بعضوية مجلس النواب، ومجالس ولايات، وفي خريطة الحزب الديمقراطي، لا يمكن أن يكون بلا تأثير، مع بروز ملف الحكومة السعودية في هذه القضية، وقضايا أخرى وعودة مشهد إعدام جمال خاشقجي، فالتصعيد الإعلامي المرافق لكل ملف قديم لترامب بات ثأراً للإعلام الأميركي المعادي له، وعلاقته بالسعودية. وهو ما شكّل حسماً لصالح الدوحة في السباق الأميركي الرئاسي، ويُلقي ظلاله على العلاقات بين الدوحة والرياض، وتأثيرات سقوط ترامب في المشهد الأوروبي الذي كان الأقرب إلى الدوحة، في مواجهة السياسات الحمقاء للرياض، من دون أن يمنع ذلك الغرب من غَرف مصالحه في هذه السياسة، وبالتالي فإن الرياض أمام خيارين: استمرار الحصار، في أجواء مريحة للدوحة، أو القبول بعرض فك الاشتباك، والاعتراف الضمني بأنها خسرت الحرب، كما خسرها ترامب.

> الرياض أمام خيارين: استمرار الحصار، في أجواء مريحة للدوحة، أو القبول بعرض فك الاشتباك

(كاتب عربي في كندا)

رأسان في قبّعةٍ واحدة

عيسى الشعيبي

مع أن أي انتخاباتٍ تجري في العالم، وإن على مستوى قطاع طلابي أو رابطة نسوية، باتت توصَف، تلقائياً، بـ«معركة انتخابية»، من أجل إضفاء مزيد من الأهمية على المباراة الافتراضية، وإضافة جرعة من الحماسة والإثارة لدى اللاعبين وجمهور المتفرجين على المدرجات وأمام الشاشات، إلا أن الانتخابات الرئاسية الأميركية الجارية فصولاً بعد، تستحق اسم «المعركة» بأل التعريف، وينطبق عليها هذا التعبير المجازي المستعار من قاموس الحرب، بجدارة واستحقاق تامّين، ربما أكثر من أي معارك/ انتخابات/ مباريات جرت من قبل، بما في ذلك تصفيات ربع النهائي في منافسات كأس العالم.

بعد انقضاء يوم الانتخابات الطويل في الولايات الخمسين، بكل ما رافقه من إثارة وتوترات وتوقعات، ومرور ليالٍ بطيئة وثقيلة من الترقب والانتظار، ونهارات فرز مديدة ومضنية لأعصاب المرشحين والناخبين والمراسلين والدبلوماسيين والمراقبين في العالم بأسره، قبل حسمها في الصناديق، ها هي حرب دونالد ترامب الدونكيشوتية تنتقل من مراكز العد والفرز إلى ساحة القضاء، وسط سيل من المزاعم والاتهامات المنطلقة بلا عقال، عن حدوث تزوير وغش وتلاعب، لا سابق لها إلا في دول العالم الثالث، في تحوّل يزيد، بالضرورة، من حدة الاحتدام والانقسام، وقد يؤدي إلى تهشيم صورة إحدى أعرق الديمقراطيات.

وسط هذه المشاهد المضطربة، والمفتوحة على أسوأ الاحتمالات، وفي خضم طوفان الأخبار المتدفقة عن حالة بلد عظيم بكل المقاييس، بات يقف على شفير وضع داخلي منذر بشتى الأخطار، بما في ذلك وجود رئيسين يتنازعان الأحقية والشرعية الدستورية، استعدت من الذاكرة الغضة رواية صديقي الأثير، الراحل مؤنس الرزاز، تلك الصادرة قبل عقدين تحت عنوان «قبعتان ورأس واحد». وآلمني أن مؤنس لم يعد بيننا اليوم، ليرى أن شيئاً من نبوءته الروائية عن مرض الازدواجية قد بدأ يتحقق، كما أحزنني أن ذاك الفتى الموهوب قد مضى قبل الأوان، فلم يعد في وسعي استئذانه في تعديل العنوان السابق، إلى «رأسان في قبعة واحدة» على غرار ما سبق أن اقترحته عليه، في مراجعة نقدية استحسنها لروايته التي عنونتها «فاصلة أول السطر»، بدلاً من «فاصلة آخر السطر».

إلى أن تتمكّن الدينامية الأميركية من إزالة هذا التشويه المعيب الذي ألحقه ترامب بنظامها الديمقراطي، ومداواة هذا الجرح السطحي لمنظومة قيمية حصينة، تعرف كيف تدافع نفسها، وتصحّح الأخطاء التي تقع فيها، ها نحن نرى رؤية العين المجرّدة مدى عمق مظاهر الخراب، وتتجلى أمامنا شتى بواطن الخلل التي أوقعها «أزعر واشنطن» طوال ولايته اليتيمة، ليس فقط في قواعد اللعبة الديمقراطية المستقرّة في بلد العلم والحلم والقوة والفرص وحائزي أكبر عدد من جوائز نوبل، بل أيضاً في صورة الدولة العظمى، التي دفعها ترامب بكلتا يديه إلى مصاف دولة عالم ثالث، طوال أربع سنوات كانت كافية لتآكل المُثل الرفيعة، وتراجع المكانة الأميركية الملهمة، وتسخيف المبادئ التي طوّبت لها الزعامة العالمية.

كانت أربع سنوات من عهد ترامب، بما شاع فيها من مظاهر عداء وكراهية وعنصرية عرقية بيضاء، ضد الأقليات والضعفاء والنساء والسود والمسلمين والإعلام والعلماء والأدباء وغيرهم، بمثابة حربٍ على روح أميركا بلد التنوّع والتعدّد والمهاجرين، على قدس أقداسها وسحر جاذبيتها على مرّ السنين، على ما في سرّها من عوامل دفع لا تنضب، وقوى ناعمة لا تُجارى، الأمر الذي يُخشى معه استمرار هذه الحرب تَحت الطاولة إلى أجلٍ غير معلوم، مع وجود عشرات ملايين الأميركيين العنصريين المتعصبين، ممن يركضون وراء ترامب بعماء بصيرة، ويصدّقون على سياساته العشوائية بلا نقاش، ويصدّقون ترّهاته، إن لم نقل يضفون عليه نوعاً من القداسة والرسولية، حتى إن قال لهم إن الشمس تبزغ من الغرب.

التعريف الفرنسي للاعتدال الإسلامي

محمد طلبة رضوان

يريد الساسة الفرنسيون إسلاما «معتدلا». لا أحد لا يريده. يلحّون عليه منذ سنوات، الرؤساء جاك شيراك، نيكولاي ساركوزي، إيمانويل ماكرون، وغيرهم، يطرحون المبادرة تلو الأخرى، ويتبنّون المؤسسة تلو الأخرى، ويدفعون باتجاه «نموذج بعينه»، يسمونه حينا الإسلام المعتدل، وأحيانا أخرى «الإسلام الفرنسي». وفي المقابل، ثمّة خطاب عدائي يوجهونه إلى المسلمين، في عمومهم، وقت السؤال، وإلى الإسلام السياسي وحده، وقت المساءلة، أو المؤاخذة، أو المقاطعة الاقتصادية!

يقاطع المسلمون في فرنسا هذا النموذج الإسلامي الحكومي، ويراهم ماكرون وغيره انعزاليين، لأنهم لا يشترون بضائع الدولة ومنتجاتها الدينية، والحال أن مسلمي فرنسا يَرَوْن واقع الخطاب لا ظاهره، نحن نسمعه وهم يعيشونه. ولا يحتاج المراقب إلى جهدٍ كثير، كي يتبين حقيقة الاعتدال الفرنسي، ليس كما يعلن عنه الساسة الفرنسيون، في خطاباتهم الرسمية، بل كما يريدونه، ويتبنّونه، ويطرحونه، ويحتفون به.

خذ مثلا واحدا: الشيخ حسن الشلغومي، واعظ مسلم، كما هو مفترض، فرنسي، من أصل تونسي. تتبناه الدولة الفرنسية، وتفتح له أبوابها كافة. يظهر باستمرار في صور لطيفة مع ساركوزي وماكرون، ويفاخر بصداقتهما. رئيس منتدى أئمة مسلمي فرنسا لمكافحة التطرّف، وهو منتدى تموّله الإمارات. لا بأس، ذلك كله عادي. الأهم والأخطر هو أفكار الشيخ، موطن الشاهد، وبيت القصيد، مفهوم الشيخ عن التطرّف، ومفهومه عن الاعتدال. يرى الشلغومي أن «الإسلام السياسي هو سرطان الأمة». ويصرح بذلك في كل مناسبة. لا بأس، هذا حقه، اتفقت معه أو اختلفت، فهو يتحدّث عن جانب سياسي حركي في التفكير الإسلامي، فرع لا أصل، رأي لا شرع، وهو رأي سبقه إليه آخرون، وهو محلّ جدلٍ وأخذٍ وردٍّ وعراكٍ وتطاحن أكثر من مائة عام بين فريقين، وقراءتين، وتأويلين.

إلى هنا، نحن أمام وجهة نظر لها وجاهتها، إلا أن موقف الشيخ من تسييس الإسلام يفقد وجهته ووجاهته وموقعه، وكل علاقة له بالرؤية والنظر، حين تعرف أنه ليس لدى الشيخ أي مانع من تسييس أي دين آخر، فالتسييس جريمة، فقط، حين يتعلق بالإسلام. يزور الشلغومي الكيان الصهيوني، ويدعم دولته الدينية، ويلتقط الصور مع جنود الاحتلال، ويعانق أفيخاي أدرعي في حرارة، يدعو الله لجيش الاحتلال بالتوفيق. ويصف المتحدث الرسمي باسم الجيش الإسرائيلي بأنه سيده وأخوه. ويصف الصهاينة بأنهم منفتحون، مسالمون، لا يكرهون الإسلام، ولا يكرهون المسلمين، أقوياء ضد الشر. أما الشر فهو، وفق «الشيخ المعتدل»، حركة حماس والمقاومة الفلسطينية التي وصفها الشلغومي، هي وكل من يقاوم إسرائيل، بالإرهاب!

الإسلام المعتدل، إذن، هو دين ضد الدين، دين منزوع الدين، دين ضد أصحابه، وضد قضاياهم، وضد حقوقهم، ومع استسلامهم للمحتل، ومع إخراجهم من ديارهم، ومع تهجيرهم وتشريدهم، يصف المعتدي عليهم بالقوة في مواجهة الشر، ويصف المقاوم المتمسّك بحقه بالإرهاب. هكذا يتم تعريف الاعتدال، وتقديمه، فهل يوجد طريقة أنجح من هذه للانتصار لكل ما هو غير معتدل؟

مقاطعه الفرنسية على «يوتيوب» مادة خام للكوميديا السوداء، وكذلك تصريحاته ومستوى معرفته بما يحدث حوله. وصل الأمر إلى أن الشلغومي كان يظن أن «شارلي إيبدو» هو اسم لشخص مسكين تعرّض لاعتداء إرهابي، على يد متطرّفين مسلمين. وحين سألته الصحافة الفرنسية التي هرعت إليه بعد الحادث، تستطلع رأيه، باعتباره ممثل الإسلام المعتدل، تَصَنَّع التأثر أمام الكاميرات، وقال: «رأيت عائلة شارلي وأنا حزين من أجلهم»، وحين سألوه: شارلي من؟ أحسّ بالورطة، واستأذن في الانصراف. هذا النموذج الكاريكاتوري، هو باختصار: التعريف الفرنسي للاعتدال الإسلامي.

في رمزية مجسّم فلسطين بمدينة تونسية

سالم لبيض

مرّ شهر أو يزيد على ارتفاع مجسّم فلسطين في سماء مدينة مدنين في الجنوب التونسي، في مطلع شهر أكتوبر/تشرين الأول المنقضي، وذلك تزامنا مع حلول الذكرى الخامسة والثلاثين للاعتداء الصهيوني على حمام شط في ضاحية تونس الجنوبية، أين كان يوجد مقر منظمة التحرير الفلسطينية، بعد نقله من بيروت سنة 1982.

المجسّم، على بساطته، تسكنه معاني عدّة، أبرزها حضور فلسطين الدائم في الثقافة الشعبية ولدى النخب المحلية التونسية، في زمن بدت فيه القضية الفلسطينية في حالة أفول وتراجع، مقابل توسع صهيوني على الأصعدة والاتجاهات كافة، واختراق مجالات ودول وشعوب في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية كانت، إلى وقت قريب، تنتمي إلى فسطاط فلسطين وحلفها الإنساني وقضيتها العادلة.

أنجزت المجسّم بلدية مدنين، وهندس الفكرة ورعاها، إلى أن تجلّت حقيقة تلامسها الأيدي وتمتع الناظرين المسكونين بالوفاء لفلسطين، المستشار البلدي الطبيب والكاتب، عبد الحكيم كرشيد، الذي لقي دعم ومساندة طيف واسع من المجتمعين، السياسي والمدني، بمشاربهما المختلفة والمتعدّدة، خصوصا الاتحاد العام التونسي للشغل، التنظيم النقابي العريق والرئيسي في تونس، والذي ظل نصيرا دائما للقضية الفلسطينية منذ تأسيسه، على يد زعيمه الشهيد فرحات حشاد سنة 1946.

يوقظ مجسّم فلسطين وعيا عميقا بجريمة احتلال الأرض وتشريد شعب وتهجيره وقتل أطفاله وإذلال شيوخه وهدم منازله ومحاولة تصفيته وانتهاك أقدس مقدسات العرب، مسلمين ومسيحيين، في بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وفي بيت لحم مهد السيد المسيح عليه السلام ومقرّ كنيسة القيامة. ويذكّر التونسيين المارّين حذو المجسم بنضال أسلافهم وأجدادهم وتطوعهم للقتال في كل الحروب العربية الصهيونية في صفوف جيوش بلدان الطوق العربي في مصر والأردن وسورية ولبنان، وفي تنظيمات الثورة والمقاومة الفلسطينية، بمختلف توجهاتها القومية العربية والوطنية والإسلامية واليسارية. ويطرح تساؤلاتٍ جدّية لدى العابرين الأجانب عن علاقة التونسيين بفلسطين، وخريطتها المجسّمة في أعالي ساحاتها وطرقاتها ومسالكها، المنحوتة في ذاكرة أجيالها التي ترى فيها قطعة من تلك الذاكرة لا تمحى أبدا، مهما كان حجم المؤامرة، ومهما بلغت درجة النسيان، ومكوّنا من مكونات الشخصية الوطنية التونسية، ودرسا من الدروس التي يتعلمها طلاب المدارس، بالتوازي مع تعلمهم الخطّ والحرف والكلمة، ونشيدا يتغنّى به الأطفال في الفصول والساحات.

وقد دوّن مؤرخون تونسيون وفلاسفة وسوسيولوجيون مؤلفات ضخمة، وأعمالا جليلة تروي مختلف مراحل انخراط تونس، ومثقفيها وعلمائها وأحزابها ونقاباتها وطبقاتها الشعبية وحكوماتها المتعاقبة، في دعم فلسطين، والانتصار لقضيتها والقتال في صفوف تنظيماتها المقاومة والتبرع بالمال والدم والتطوع بالنفس والدفاع عنها في المنابر العالمية والمؤسسات الإقليمية والدولية الحكومية وغير الحكومية، حتى باتت الكتابة عن فلسطين والمنافحة عنها تقليدا لدى الأكاديميين والسياسيين وبعض الدبلوماسيين التونسيين، على غرار الدور الذي لعبه مندوب جامعة الدول العربية في باريس سابقا، حمادي الصيد. وعلى غرار مؤلّف عبد اللطيف الحناشي «تطور الخطاب السياسي في تونس إزاء القضية الفلسطينية 1920 - 1955»، وكتابي علي المحجوبي «جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين» والهادي التيمومي «النشاط الصهيوني بتونس 1897 - 1948». ومؤلف صاحب هذه المقالة «الهوية.. الإسلام العروبة التونسة» الذي فُصّل فيه القول في القضية الفلسطينية لدى النخب والأحزاب السياسية والحركتين النقابية والطلاب التونسية. وسالم بويحي في دراسته عن العلاقة بين عمّال تونس وفلسطين ومواقف الطبقة العاملة التونسية من القضية الفلسطينية 1945 - 1956.

وفلسطين جزء من برامج الأحزاب السياسية التونسية، وعناوين أعمدة قارّة في الصحف اليومية والأسبوعية، وندوات دائمة في مراكز البحوث والدراسات، واسم لجمعيات وصفحات ومدونات عديدة، وهي مصدر للشرعية التاريخية والنضالية والشعبية، وانخراط دائم في العداء للصهيونية، ورفض لقيام دولتها على أرض فلسطين التاريخية وفي قطاع غزة والضفة الغربية. ولرفع مجسم فلسطين في المدينة التونسية الجنوبية مبرّرات تاريخية كثيرة، إذ تكاد تحتفظ كل عائلةٍ من ولاية مدنين المتاخمة لليبيا بذكرى عميقة الأثر عن كبار سنّها الذين تطوعوا دفاعا عن فلسطين سنة 1948 مشيا على الأقدام، مجتازين الأراضي الطرابلسية كما كانت تسمى في الأدب الكولونيالي الفرنسي، مرورا بمصر، وصولا إلى مدينة القدس التي اعتاد تونسيون ومغاربة كثيرون على زيارتها قبل الاحتلال في أثناء أداء فريضة الحج، ولهم باب في أسوارها وآخر في المسجد الأقصى يسمى باب المغاربة.

وفي مدينة مدنين وتخومها، وتحديدا بلدة سيدي مخلوف، يرقد ميلود ناجح نومة الذي قاد عملية قبية الفدائية في شمال فلسطين المحتلة التي نظمها تنظيم الجبهة الشعبية القيادة العامة بواسطة طائرات شراعية، وقتل مجموعة من العسكريين الصهاينة يوم 25 نوفمبر/تشرين الثاني سنة 1987، قبل أن يرتقي شهيدا. وكانت تلك العملية بمثابة ردّ للاعتبار للقضية الفلسطينية، كما جاء في رسالة نومة نفسه التي كتبها قبل تنفيذ العملية، وهي علاوة على ذلك انتقام لشهداء فلسطين وتونس الذين بلغ عددهم 68 سقطوا فيما تسميه الدولة الصهيونية وجهاز استخباراتها الموساد «عملية الساق الخشبية» التي نفذتها ثماني طائرات من سلاح الجو الصهيوني صباح الأول من أكتوبر/تشرين الأول سنة 1985 في مدينة حمّام الشط. كما كانت العملية منطلقا للانتفاضة الفلسطينية الأولى، المعروفة بانتفاضة الحجارة التي انفجرت شرارتها يوم 8 ديسمبر/كانون الأول 1987، أي أسبوعين بعد تنفيذ عملية قبية المسلحة، واستمرت إلى يوم 13 ديسمبر 1993، وسقط فيها 1300 شهيد فلسطيني.

> يعكس مجسّم خريطة فلسطين رمزية مكثفة بعرضه أسماء مدن فلسطين التاريخية وقراها وبلداتها
>
> في مدينة مدنين وتخومها، وتحديدًا بلدة سيدي مخلوف، يرقد ميلود ناجح نومة الذي قاد عملية قبية الفدائية

وكانت إدارتها تتم من تونس، باعتبار أن مهندسها والمشرف على تنظيمها في منظمة التحرير هو القائد الفلسطيني، خليل الوزير (أبو جهاد) الذي اغتاله كوماندوس مكون من مختلف الفرق والأجهزة الأمنية والعسكرية الصهيونية في بيته في سيدي بوسعيد في ضاحية تونس الشمالية، يوم 16 إبريل/نيسان 1988، في عملية نوعية، تمت تحت حماية أسطول بحري كبير، بحسب اعتراف التقرير الذي بثته القناة 13 الصهيونية قبل سنة. واعتبرت الحكومة الصهيونية عناصر الكوماندوس الذي نفذ العملية «أبطالا قوميين». ولم تتوقف سياسة الاغتيالات الصهيونية سنة 1988 باغتيال خليل الوزير، وإنما استؤنفت باغتيال المهندس التونسي محمد الزواري يوم 15 ديسمبر/كانون الأول 2016 أمام بيته في مدينة صفاقس من جهاز الموساد الصهيوني، من دون التفريق بين تونسي وفلسطيني، ليختلط الدم مرة أخرى، كما اختلط في حمام الشط سنة 1985، وفي عملية قبية سنة 1987، فالسلطات الصهيونية كانت قد تبادلت مع المقاومة اللبنانية رفات تونسيين استشهدوا على أرض فلسطين، منهم ميلود ناجح نومة المذكور سلفا وعمران المقدمي وفيصل الحشائشي ورياض بن جماعة وبليغ اللجمي وكمال بدري وسامي الحاج علي.

يعكس مجسّم خريطة فلسطين رمزية مكثفة بعرضه أسماء مدن فلسطين التاريخية وقراها وبلداتها التي تأبى النسيان في الذاكرة العربية، ناهيك عن ذاكرة الأجيال الفلسطينية ووعيها الجمعي، على الرغم من كل محاولات الطمس وتغيير الشواهد على الأرض التي تقوم بها سلطات الاحتلال الصهيوني. وهي، بالتوازي مع ذلك، صيحة قادمة من أعماق التاريخ، تواصل ما قام به الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تنظيم مؤتمر القدس سنة 1931، بتكليف من المفتي المقدسي الشيخ أمين الحسيني، وتستنسخ جهد الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي أسس سنة 1948 «لجنة الدفاع عن فلسطين العربية» و«فرع المؤتمر الإسلامي لفائدة القدس الشريف»، وتقطع مع ظاهرة التطبيع التي رفضها التونسيون إبّان حكم الرئيس السابق زين العابدين بن علي الذي فتح مكتب رعاية مصالح الجمهورية التونسية في تل أبيب سنة 1996، وسمح بمشاركة وزير الخارجية الصهيوني في قمة مجتمع المعلومات التي انتظمت في تونس سنة 2005، والتي تفشت في الفترة الأخيرة لدى حكوماتٍ عربيةٍ تلهث وراء سراب الأمن الصهيوني الشامل، من دون أن يكون لهذه الظاهرة قدرة على اختراق النسيج الشعبي والمجتمعي في مختلف الدول العربية، إلا من نخب ظلت قابلة للبيع والشراء.

(كاتب ووزير تونسي سابق)

كوميديا ترامب السوداء أم براغماتية بايدن الرمادية؟

سامية عيسى

من المبكّر التنبؤ بسياسات الرئيس الأميركي المنتخب، جو بايدن، الخارجية، بعد الفوضى العارمة التي تركها سلفه دونالد ترامب، واتسمت بالتهور والتهريج والشخصنة. فبعد أربع سنوات من إدارةٍ غير متزنة لملفات دولية عديدة، افتقدت، على يد ترامب، المقوّمات المنطقية، وفي ملفاتٍ بالغة الحساسية، لا تعكس التحولات التي يشهدها العالم، ولا تقيم وزنا للمخاطر المترتبة على سياسات ترامب الخارجية، إن كان في الوسع تسميتها سياسات. أما الملفات الأميركية الداخلية، وفي مقدمتها التصدّي لجائحة كورونا، فقد ترك ترامب عبئا ثقيلا وإرثا مرعبا من سوء الإدارة والانقسامات، وضع الديمقراطية في الولايات المتحدة الأميركية في مستوى مزرٍ، جعلت حتى أعداء تقليديين لها عبر العالم يخشون من التخبط الذي لم يعتادوه على القوة العظمى الأكثر تأثيرا في العالم والأكثر نفوذا، على الرغم من التنامي الهائل للصين بوصفها قوة منافسة. وقد انعكست هذه الخشية في الداخل الأميركي، كما في خارجه، قلقا وعدم استقرار، وتخوفا من النزوع نحو العنصرية وممارسات استعلائية تشبه، إلى حد كبير، ممارسات ديكتاتوريين كثر، كمعمر القذافي في ليبيا وعيدي أمين في أوغندا وعبد الفتاح السيسي في مصر وقادة شعبويين عديدين، يفتقدون أدنى مستويات الحوكمة الرشيدة. لكنها أربع سنوات فقط، تنفس بعدها الأميركيون الصعداء خصوصا، وشعوب كثيرة عموما، من عدم فوز ترامب بولاية ثانية، وما قد يعنيه ذلك من كوارث تتفاقم لتزعزع الاستقرار في داخل أميركا وخارجها.

وأبلغ مثال على هذا طريقة إدارته التعامل مع الاحتجاجات ضد العنصرية بعد مقتل الأميركي من أصول أفريقية، جورج فلويد، خنقا تحت حذاء شرطي أبيض، وفشله الذريع في مواجهة الجائحة، وما تسببت به من تراجع اقتصادي حاد، وتسببت بعشرات الآلاف من الوفيات وملايين الإصابات، بل كانت الجائحة في الولايات المتحدة الأسوأ في العالم، جعلت من إدارة ترامب مصدرا منتجا للأزمات والفشل وانعدام المسؤولية، سيما أيضا في مسائل تتعلق بالمصالح الأميركية التي إما تجاهل ترامب رعايتها أو أدارها بشكل سيئ ومتهور، مثل ما فعل في إعلان القدس عاصمة لإسرائيل، غير عابئ بالفلسطينيين، وما تمثله القدس من رمزية دينية لمليار ونصف مليار مسلم عبر العالم. كما انسحابه من «اتفاقية باريس للتغير المناخي»، كما انسحابه المسيء من منظمة الصحة العالمية، في عز تفشي فيروس كورونا. زرع ترامب القلق، في كل لحظة حكم فيها، بسبب عدم القدرة على توقع سياساته أو تحليلها وفق المنطق العلمي للتحليلات السياسية ومنطق البداهة. رزح العالم تحت رحمته، لأن قرارته وسياساته مؤثرة، بوصفه رئيس أكبر قوة عظمى تقود العالم، حتى وإن كانت تقوده وفق مصالحها. ولكن مع ترامب، لم تكن هذه المصالح ظاهرة في سياساته، أو يقيسها بميزان دقيق. بل على العكس، قاد أميركا والعالم بعقلية رجل أعمال وتاجر أقرب إلى بائع خضار في سوق شعبي رخيص، يقيم الصفقات ويدير سياسة خارجية فظة واستعلائية، ويغرّد على «تويتر»، كما لو كان دمية يتلهى بها، ويهاجم خصومه أحيانا بنرجسية فاقعة، سيما وسائل الإعلام ممن ينتقدون سوء إدارته، وهذا غيض من فيض.

الناحية الإيجابية لعهد ترامب أنه كشف الوجه الحقيقي للفظاظة والصفاقة الأميركية للقوة العظمى، ذات الوجه القبيح المغلف بقناع ترقّ سماكته وتقسو، بحسب ما تتطلبه مصالح «ثلة وول ستريت» من رجال المال والأعمال، والتي يعمل الساسة الأميركيون من رؤساء وكونغرس ومجلس شيوخ في خدمة مصالحها، في تلطيف مقنع للديمقراطية والقيم الأميركية كما نعرفها، والتي لم تخرج بعد عن سجلها في إبادة السكان الأصليين، عبر شن الحروب وسفك الدماء في أرجاء المعمورة ودعم الديكتاتوريات هنا ومواجهتها هناك، فضلا عن نظام الأبارتهايد الصهيوني في فلسطين المحتلة، بحسب ما تقتضيه المصالح الأميركية أو تلك الثلة التي تتربع على عرش النظام المالي العالمي في «وول ستريت» والنيوليبرالية المتوحشة التي تتحكم باقتصاديات العالم، بما لا يسمح لأيٍّ منها بالخروج عن استبداديته. هذا الوجه الفج لترامب نسخة كاريكاتورية عن النظام الأميركي الذي ما زال يمارس الاستعباد المقنع للأميركيين الأفارقة، رغم أنف الدستور والتعديل الـ13 بإلغاء العبودية، فيما تتواصل السياسات الأميركية في معظم الولايات بممارسة التمييز ضد ما يسمونهم السود، هذا فضلا عن أقليات عديدة غير البيضاء للمهاجرين، في مجتمع مهاجرين بدأ سيرته التاريخية بإبادة السكان الأصليين والاستيطان الاستعماري وممارسة العبودية في أبشع صورها.

بعد خسارة ترامب الانتخابات الأميركية، احتفل عشرات الآلاف، وربما مئات الآلاف، في ولايات عديدة، بهذه الخسارة، أكثر مما كان احتفالا بفوز بايدن. وربما يعرف الأخير ذلك، بل استثمر بكره الناخبات والناخبين لترامب في حملته الانتخابية، علنا وضمنا. ولكن في المقبل من الأيام، يتوقع أن يعود بايدن إلى السياسات الأميركية المعتادة في أكثر من ملف في السياسة الخارجية أقله، وهو ابن هذه السياسة والخبير فيها وبملفاتها، نظرا إلى تجربته العريقة في السياسة الخارجية على مدى نحو خمسين عاما في دوائر صنع القرار، سيناتور متمرس، بنى خبرته منذ كان في التاسعة والعشرين من عمره. وهذا ما يمنحه حرفية عالية في السياسة الخارجية، تعيد لملمة ما تصدّع منها، بأقنعةٍ ترقّ وتقسو، بحسب المصالح الأميركية، مع فارق أنه الرئيس هذه المرّة. ربما يصدق بتصريحاته، في خطاب الفوز، بشأن إصدار قوانين تمنع التمييز على أساس النوع والجنس، سيما باختياره امرأة في موقع نائبة الرئيس، لأول مرة في تاريخ أميركا، ويبدو أنها ستلعب الدور الأهم في التغيير في سياسة بايدن الأميركية الداخلية، فقد جاءت كامالا هاريس من أوساط الشباب في الحزب الديمقراطي، ذات التوجهات اليسارية، ومدّعية عامة، تتقن لغة القانون والحقوق، وهي ذات أصول ملونة (أمها هندية ووالدها من جامايكا)، كما باراك أوباما، ما يمنحها صدقية في التعامل مع المخلفات العنصرية حيال الأميركيين الأفارقة، والتمييز ضد الأقليات العرقية، كما النساء وحقوقهن، وأيضا في استصدار قوانين ملزمة لحماية البيئة. ويبدو أن إرث أوباما سيستعاد مع جو بايدن وكامالا هاريس، سيما ما رأيناه من دعم غير مسبوق منه (أوباما) لكليهما، وكيف وضع كل ثقله ونجوميته الرئاسية في حملتهما الانتخابية، كما لم يفعل أي رئيس أسبق، مستفيدا من الثغرات التي شابت حملة هيلاري كلينتون الانتخابية عام 2016، ومن شخصية دونالد ترامب المكروهة لدى قطاعات واسعة.

> سيكمل بايدن من حيث انتهى أوباما، مع فرق سعيه إلى بناء ما هدمه ترامب، ومع فارق ما يواجهه العالم من تحوّلات وتحدّيات كبيرة
>
> كشف عهد ترامب الوجه الحقيقي للفظاظة والصفاقة الأميركية للقوة العظمى، ذات الوجه القبيح المغلف بقناع ترقّ سماكته وتقسو

سيكمل بايدن من حيث انتهى أوباما، مع فرق سعيه إلى بناء ما هدمه ترامب، وما يواجهه العالم من تحوّلات وتحدّيات كبيرة، تسارعت وتيرتها، وزاد فيروس كورونا من مضاعفاتها، كما الداخل الأميركي الذي يتطلع إلى تغييرات سريعة لا تحتمل الانتظار، سيما في قطاعات الصحة والاقتصاد والتعليم وتعزيز العدالة الاجتماعية، وسط هذه الجائحة المرعبة التي هي أولوية بديهية وعاجلة.

أما ما يتعلق بالسياسة الخارجية الأميركية والصراع العربي الإسرائيلي خصوصاً، فهنالك متغيرات ستطرأ على ملفات عديدة، سيما في مسألة استئناف المفاوضات بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني وحل الدولتين، وإعادة إقرار المساهمة الأميركية في موازنة وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة (أونروا) فضلا عن كبح الاستيطان، ووقف عمليات ضم أجزاء كبيرة من الضفة الغربية لإسرائيل. أما استكمال اتفاقيات التطبيع فستتواصل، ولكن بغير عجلة، مع فرض علاقات أكثر جدّية واحترافا مع دول الخليج، تأخذ بالاعتبار التهديدات الإيرانية، وإعادة فتح مسار الاتفاق النووي الذي قد تطرأ عليه تعديلات، تتعلق بكبح جماح إيران، في عملها المتواصل على زعزعة الاستقرار في المنطقة العربية، فضلا عن مصالح الولايات المتحدة بملف النفط والغاز وقضايا تتعلق باستعادة سمعة أميركا بوصفها القوة العظمى الأولى، وهي ملفات تتعلق ببعضها بعضا وتتبادل التأثير.

أما الملف الأهم لبايدن، فهو ترتيب العلاقة مع الصين، وعبر دبلوماسية نشطة ستتسم بالبراغماتية والواقعية، ولكن سيغلب عليها نوع من الرمادية، حتى تتضح الأمور لبايدن بعد أربع سنوات من التخبط. سيسعى إلى وقف تغلغل الصين الاقتصادي والسياسي في العالم على حساب النفوذ الأميركي، وهو ما لم يُعره باراك أوباما الأهمية اللازمة في فترة حكمه، وأداره ترامب بعدوانية فظة. والمتوقع أن يدير بايدن هذا الملف بحنكةٍ تستند إلى مهنية عالية وخبرة عريقة، سيما بعد أن افتقد العالم للقيادة الأميركية، في وقت لم تجهز أية قوة صاعدة لأن تكون البديل المقبول، سيما الصين.

(كاتبة وإعلامية فلسطينية في بيروت)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ سكرتير التحرير **حكيم عنكر** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads